



من الشعب الياباني
From the People of Japan



شعوب متمكنة.
أمم صامدة.

ملحق خاص

يصدر عن مشروع «بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي بتمويل من اليابان ويوزع مع صحيفتي «النهار» و«السفير» بناءً على مذكرة تفاهم وقّعها البرنامج مع الصحيفتين. يصدر المشروع النسخة الإنكليزية المترجمة منه مع جريدة The Daily Star.

ملحق مشروع بناء السلام في لبنان

Issue n° 5, September 2014

العدد رقم 5، أيلول 2014



© دار الصور



خداع الليل وختامه السائل

«لحظة ٢»: يوميات النزوح بعيون اطفال سوريين

في لقاء الشباب السوري واللبناني

الجمهورية «التدريبية» السورية...

ورش بناء المجتمع المدني في المنفى



حرب الصور والنماذج

معاً في مواجهة تحديات الأزمة السورية

أصحاب وجهات نظر مختلفة، من صحف «الحياة»، «الشرق الأوسط»، «العربي الجديد»، وموقع «ناو» وجريدة «المدن» الإلكترونية. أما الغلاف الخلفي للملحق، فهو مساهمة من الفنان السوري تمام عزام الذي قام بتصوير أحداث الأزمة السورية من خلال لوحاته. تنشر ثمار هذا العمل، كبقية الأعمال السابقة، مع صحيفتي «السفير» و«النهار»، ويعلن عنه على مواقعها الإلكترونية وموقع الوكالة الوطنية للاعلام، كما توزع النسخة الانكليزية المترجمة من الملحق مع صحيفة «The Daily Star».

بالإضافة إلى ذلك، ستوزع مع شركة «ليان بوست» 2000 نسخة مجاناً على جميع الوزارات والسفارات والبلديات ووسائل الاعلام والجامعات والمنظمات غير الحكومية في لبنان لتبلغ جمهوراً واسعاً، وتطاول جميع الشرائح اللبنانية.

أمل ان تستمتعوا بهذا العمل الذي يشكل مزيجاً من آراء متعددة حول آثار الأزمة السورية على لبنان من منظور جديد.

روس ماونت

الممثل المقيم لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي في لبنان

شهدنا في الآونة الأخيرة تزايداً للحوادث التي تطاول اللاجئين السوريين والمجتمعات المضيفة على حد سواء، وخصوصاً في اعقاب اشتباكات عرسال. في اوقات كهذه، من السهل أن تحرك العواطف إزاء هذه الأعمال التي لا توصف، ولكن سيكون من غير العادل وغير العقلاني تعميم أعمال أفراد مصلّين على مليون لاجئ. في الوقت نفسه، نحن نحیی ونقدّر الجهود التي تبذلها القيادات السياسيّة والدينيّة للحد من الاندفاع العاطفي المفرط الذي يهدد استقرار البلاد.

إن تفاهم التوترات لا يصب في مصلحة أحد، وينبغي بذل قصارى الجهد لتجّنب التصعيد أو العودة الى العنف. وفي هذا السياق، تعمل الأمم المتحدة مع الحكومة اللبنانية على وضع برنامج دعم يعزّز مرونة البلد ويكفنه من مواجهة التحديات التي تعترضه.

في العدد الخامس من ملحق مشروع «بناء السلام في لبنان»، نلقي نظرة على آثار الأزمة السورية على لبنان، مع التركيز بنوع خاص على المجتمعات المضيفة والنازحين، بما في ذلك المرونة والقدرة الاستثنائية التي يعيشها الناس.

لهذا السبب، قمنا بجمع مقالات لصحافيين لبنانيين وصحافيين سوريين مقيمين في لبنان،

تفاهم متبادل لتخفيف الآلام وحل المشاكل

من الطبيعي أن حل الأزمة السورية يجب أن يحصل في أقرب فرصة ممكنة، لكن ذلك لا يعني أن لا نقوم بشيء ما في الوقت الحالي. يجب أن نتقدم ولو إنشأً واحداً إلى الأمام بإتجاه التحسين. إن وسائل الإعلام التي تنشر أخباراً ومعلومات عن واقع السوريين والمجتمعات اللبنانية المضيفة مطالبة بالعمل من أجل تعميق التفاهم وإزالة التوتر في ما بينهم.

نتوقع بشدة من وسائل الإعلام أن تنجز هذه المهمة.

سيثشي أوتسوكا

سفير اليابان لدى لبنان

إن الأزمة السورية المستمرة شكلت أعباء ومشاكل معقدة على الحكومة اللبنانية، البلديات وكذلك على اللبنانيين في بلدهم. هذه الأعباء المتراكمة تجلّت في إرتفاع الإنفاق الإقتصادي والإجتماعي في لبنان من جهة، والمعاناة النفسيّة الفردية للسكان من جهة أخرى. إن جمعية «إنقاذ الأطفال في اليابان» تعدّ من الجمعيات النشطة التي تقدم هذا النوع من الرعاية النفسيّة بشكل أساسي للشباب اللبناني والسوري. التقارير الواردة من الجمعية أشارت الى أن أعداداً من الأطفال والمراهقين يعانون من الوحدة والكآبة في ظل أوضاع يسيطر عليها التحدي. إذا حاولنا إزالة ما يمزون به من حالات تمزّق وإرتداد، يجب علينا أن نبذل قصارى جهدنا لخلق مناخات أفضل للتواصل في ما بينهم ومع المجموعات المضيفة والنازحين. إن التفاهم المتبادل هو مطلب أساسي لتخفيف الآلام النفسيّة.

شعب واحد....

إلى نقطة العبور في جديدة يابوس، حيث تقف لجان أهلية لاستقبال فقراء مشوا من لبنان، عابرين جرداً وصخوراً وتلاّلاً، على وقع الصواريخ الإسرائيليّة وأزيز ال «ام كا»، بأولادهم وكهولهم وأكياس من النايلون تحوي ما استطاعوا «توضييه» قبيل ترحالهم المفاجئ.

شارع الحمراء- يوم من أيام صيف العام 2012

بخجل، تقف السيدة التي لم تتجاوز منتصف العشرينات، من حولها أربعة أطفال أو خمسة، بأعمار متفاوتة. ملابسها المتواضعة نظيفة. تحمل حقيبة يد. الأولاد يتقاسمون كل جزء من أطراف عباؤها.

تتقدم خطوة إلى الأمام، تحاول مدّ يدها، ثم تخطو إلى الخلف. تخفض نظرها. تحاول ثانية، وثالثة.

بعد أسبوع، كانت تجلس أرضاً، وأولادها من حولها، يدها ممدودة طوال الوقت، وهي تتحدث إلى مواطنها التي تجلس وأولادها بالقرب منها، بيدها الممدودة أيضاً.

بيروت- أمسية من أمسيات صيف العام 2013

تتوقف السيّارة الفارحة عند مدخل فندق فخم في «واجهة بيروت البحرية». يتّرجل رجل ضخم بسيجار يوازي طوله طولاً من الباب الآخر، تخرج زوجته المتصابية، بمساحيقها، وشفّتين متورّمتين، وملابس أوروبية الصنع.

عند المدخل ملصق لسهرة «من العمر» مع المطرب اللامع في حديقة الفندق.

عرسال- يوم من أيام صيف العام 2014

...

هنادي سلمان

مديرة تحرير صحيفة «السفير»

دمشق- يوم من أيام الصيف في منتصف ثمانينات القرن الماضي

تعبر سيارة فارحة أوتوستراد المرّة بسرعة قصوى. تصل إلى فندق «شيرتون»، يترجل أطفالاً، وسيدة ترتدي ملابس باريسية، يتقدّمهم رجل بسيجار طويل، يكاد طوله يعادل طول سيارته، ذات اللوحة اللبنانية.

في بهو الفندق قبلات وتحيّات كثيرة. هنا الأصحاب والأصدقاء كلهم، «نخبة» من اللبنانيين «الهارين» من أتون حربهم.

يخرج ذو السيجار حفنة ضخمة من أوراق نقدية من فئة خمسمائة ليرة سورية ويعطيها الى الأكبر من أولاده. «إذهبوا للتبضع وتناول الحلوى، لكن لا تتأخروا، فسهرة الليلة من العمر...».

البقاع- يوم من أيام الصيف في ثمانينات القرن الماضي

جلف. يمشي يتقدّمه كرش لا يليق بأي رتبة عسكريّة. من حوله مسلحون من فقراء المدن السوريّة، تحوّلوا، بفعل الأسلحة التي ورّعت عليهم، إلى أشباه طغاة، على قياسهم طبعاً. الأسلحة، والسيارات الحديثة التي يسرّونها في مواكب تلبي نزوات «المعلم»، وجلفه.

عند مدخل المنزل الفخم، يهرول المالك اللبناني وزوجته الحسنة لاستقبال الضيف «الكبير».

«إنّه لشرف عظيم ..». لا يسمع «المعلم» بقية الجملة. يهمس سائلاً بيقين من يعرف أن أوامره كلها تطاع: «هل دعوتهم كل من طلبته؟ هل أعددتهم كل الأطباق التي دونتها؟ هل أحضرتهم نوع المشروب من الخارج».....

بيروت- يوم من أيام الربيع العام 2005

سحر تخرج رأسها من شبك السيّارة العابرة عند البطرقيّة، تصرخ في وجه ثلاثة شبّان ينهالون ضرباً على عامل نظافة سوري الجنسيّة.

دمشق- يوم من أيام صيف العام 2006

حللّ من الطعام وصوان عليها مشروبات وشطائر، لا تنفك تصل

لا للعداء، لا للاعتداء

ولدت أحداث عرسال الأخيرة ودخول «داعش» و«النصرة» على خط اللعب بالأمن اللبناني، خصوصاً مع خطف عسكريين في الجيش وقوى الأمن الداخلي، محطة جديدة سيئة في العلاقات اللبنانية السورية، خصوصاً أن المسلحين اراهبيون خرجوا من مخيمات للاجئين في داخل عرسال، وكان أهالي البلدة وفروا لهم الإقامة والحماية والرعاية، ووقفوا معهم في مواجهة جيرانهم في البلدة وقرى أخرى، كما في وجه العدالة اللبنانية التي كانت تريد من بينهم مطلوبين للمحاكمة.

لقد ضحّى أهالي عرسال كثيراً بسبب تضامنهم مع «الثورة السورية» لكنهم لم يقابلوا بالخلفيّة نفسها، بل حاول المسلحون جعلهم أسرى قرار المجموعات الارهابية، ودفعهم الى التصادم مع كل محيطهم، وتدمير منازلهم بسبب الاحتماء بها، وغيرها من التصرفات المشينة التي ارتكبت هناك.

بعد عرسال ثمة مرحلة جديدة في العلاقات وفي الايواء والاحتضان وتوفير الدعم. تبدلت النظرة الى تجمعات اللاجئين، من نظرة الى مهجرّين محتاجين للمساعدة، الى مراقبة لتحركاتهم خوفاً من تحوّلهم قوة مقاتلة وارهابية تدمّر وتقصّف وتخطف وتأسر.

لكن معالجة الأمور تحتاج الى رؤية وبعد نظر، الى المستقبل، والى الماضي أيضاً، لأن المستقبل هو النافذة لماضٍ راكّم خبراته، ولا يجوز عدم الافادة منه. في النظرة الهادئة للأمور، بعيداً من التشنج، نرى أن السوريين اللاجئين الى لبنان ليسوا مجموعة واحدة، بل يختلفون في السياسة الداخلية، وفي التصرف الأمني، وفي النظرة الى لبنان، وفي التعامل مع مسؤوليه. منهم من لم يخرج من منطق الوصاية، ومنهم من لا يعترف بالكيان اللبناني، ومنهم اراهبيون، ومنهم أيضاً لاجئون ينشدون السلام والطمانينة والعيش الهانئ. يهربون من جحيم الحرب هناك، ويتمنّون تفضية أيام هانئة مع ذويهم وأبنائهم، طمعاً في لجوء دائم، أو أملاً في معبر يقودهم الى دنيا الاغتراب، كما تعامل اللبنانيون زمن الحرب مع قبرص محطة الى بلدان الغرب.

من هنا يستوجب على اللبنانيين عدم النظر بعدائية الى كل سوري لاجئ، وعدم الاعتداء على أي سوري، حتى ولو كان مشتبهاً فيه، بل ترك الأمر للأجهزة الأمنية تقوم بدورها.

ان العلاقة التاريخيّة بين شعبين في بلدين مجاورين وشقيقتين يجب ألا تداس بالأقدام لمجرد أن البعض تحوّل مجرماً. في النظر الى المرأة نرى أنّ بيننا مجرمين أيضاً، ارتكبوا مجازر بحق مواطنيهم في لبنان في زمن الحرب، ولم يحولنا الأمر جميعاً مجرمين. فحرام التعميم والأحكام الجاهزة. من هنا نقول: لا للعداء، ولا للاعتداء.

غسان حجار

مدير تحرير صحيفة «النهار»

حرب الصور والنماذج



عن صفحة «الحملة الداعمة للسوريين بوجه العنصرية» على فايسبوك

حازم صاغية

ليس الحديث في الصور والنماذج بالأمر السهل، لأنه يفتح الباب واسعاً على التنميط الذي يعمم ويكتل. وتزداد الخطورة في أحوال بلدان كسوريا ولبنان وفي أطوارهما، لأن هذين البلدين، في ضعف اجتماعاتهما الوطنية الناجم عن تفتتها الطائفي والمناطقية، لا ينتجان الكثير من الصور والنماذج الموحدة. فما تراه طائفة أو منطقة ترى عكسه طائفة أو منطقة أخرى. يضاف الى ذلك أن تقلب أحوال البلدين وتسارع تاريخهما العاصف بالتحوّلات الضخمة، يضاعفان صعوبة الرسو على صورة ونموذج بعينهما. فلا لبناني ما قبل الحرب الأهلية - الإقليمية، بوصفه التاجر الشاطر، هو لبناني ما بعد الحرب، بوصفه صاحب المعاناة المبكرة الذي لا تزال الرياح المتصادمة على «ساحته» تطحنه وتعزّز أسباب قلقه. ولا سوري ما قبل الثورة، بوصفه الجندي الرادع للبنانيين ورجل الامن الذي يحصي أنفاسهم، هو سوري ما بعد الثورة، بوصفه الشجاع والمضحّي الذي يتصدّى لإحدى أشرس الآلات القمعيّة في زمننا، أو النازح الذي جعله بطش نظامه يعيش معاناة انسانية بالغة الايلام والأذى.

كما انهم، وبسهولة نسبية، وجدوا طريقهم معبداً الى سوق العمل الرخيص الاجر، وهو سوق يعرفونه تقليدياً كعمال بناء وعمال ورش زراعية. وهذا ناهيك بتوقّر طائفة لبنانية كبرى احتضنتهم لأنها تخاصم طائفة لبنانية أخرى كما تخاصم النظام السوري المصنّف في خانة الآخر الطائفي.

على اي حال، فما يمكن قوله اليوم بشيء من الثقة، أننا سنعيش طويلاً بين هذه الهبات الساخنة والباردة الى أن يقضي الله امراً، ذلك انه لن تتألف نظرتان متقابلتان على حد من التجانس قبل أن يتألف وطنان يقومان على حد معقول من الإجماع. وهذا، للأسف، مستبعد اليوم ومستبعد في الأفق المنظور.

والحق أن المأساة السورية الراهنة تعزّز اسوأ ما في الايديولوجيا اللبنانية التقليدية، اذا صحّ التعبير، الا وهو الشعور بالتفوق، ان لم يكن الفرادة. ف«هم»، «اهل الجحيم»، يتقاطرون على «جنتنا». لكن تلك المأساة تصدع، في المقابل، اسوأ ما في الايديولوجيا السورية التقليدية، وهو افتراض أن لبنان ابن البلد «الاصلي» الى البلد «المصطنع»، يكون الشقاء والمعاناة اكبر مما لو كان اللجوء إلى بلد مسلم بجديته أو بعناصر تقدم ما تحسب له. وهذا ما يرقى الى مساهمة الوعي القومي العربي، وهو محط اجماع تقليدي بين السوريين، في تكبير المأساة، وفي تصغير قنوات التواصل والحوار. فكيف وأن السوريين، على عكس الفلسطينيين الذين عزلوا في مخيماتهم، يعرفون لبنان جيداً من خلال الجيش السوري الرادع،

لكن، فوق هذا، لا يوافق كل اللبنانيين على صور السوريين المذكورة أعلاه، ولا كل السوريين يوافقون على صور اللبنانيين المذكورة أعلاه. والحال ان الإحتكاك الواسع الذي نجم عن النزوح السوري الأخير ليس مما يساعد على إحداث انتظام اكبر في الصورة. وأغلب الظن أن يتعاطف ما هو سيء يحاذي العنصرية تحت وطأة أسباب كثيرة، منها مخاوف الطوائف الأقلية المسكونة دوماً بالعدد، ومنها الاقتصاد وفرص العمالة المتاحة. وهناك، في المقابل، من جهة السوريين، المظلومية وعلامات التفاوت القديمة منها والمستجدة التي تدفع في الوجهة ذاتها. وهذا كله ما يغدو أشد التباساً، بل تلوّثاً، في ظل تدخل حزب الله في سوريا، وفي ظل تنامي ظاهرات «داعش» و«النصرة» وممارساتها.

السائق لا يقود اللاجئين إلى المكان الذي يريد

إيلي عبود

يتناوب اللاجئ وسائق سيارة الأجرة التي تقله، على اختلاق سير مضادة، لتلك التي يملكانها. فالسير في وضعهما أقرب إلى المؤقت الحياتي منه إلى الرغبة. تلك الأخيرة تكاد تنعدم لدى الطرفين بفعل الاعتياد وقبول المتاح، ما يستدعي خلق سيناريوهات وقصص درامية وحكايا أسطورية تحيل الفراغ الرغبوي إلى احتمال متخيل يجبر قليلاً من كسور الذات أو يحاول تأجيل تداعياتها.

من القصص الركيكة، العسيرة التحقق. ما يحول الاختلاق السردى فعلاً مزدوجاً، يضم في وجهته الأولى الحيوانات الحقيقية، حيث السائق، بدأ حياته وراء المقود، واستمر كذلك، واللاجئ غادر بلاده بدون أمل بأي تغيير. هنا، يتولى الوجهة الثانية للاختلاق حرف الانتباه عن الأسباب التي استدعت ذلك، وسط أحوال السرد المشتبه لا يستطيع السائق أن يلوم دولته ولا اللاجئ أن يلوم النظام، هما في المنطق الاختلاقي ليسا سائقاً ولاجئاً، إنهما هروب مستمر من هذين العارين.

وقد يبدو مفهوماً، أن لا يوصل سائق التاكسي، اللاجئ الذي استقل سيارته، إلى المكان الذي يريد. يوصله، ربما، إلى طريق فرعية قريبة من ذلك المكان أو إلى بداية طريق عامة. أما المكان المحدد فممنوع الوصول إليه. أن يصل معاً إلى نقطة اتفاقا عليها، فذلك بعض من حقيقة لا يريدانها، هم أكثر انجذاباً إلى الاختلاق الذي صنع سيرتهما المضادة. أي حقيقة مهما كان حجمها قد تعيد السائق إلى لجوئه وراء المقود، هرباً من طموحات لم يحققها، واللاجئ إلى خيمة عارية، هرباً من قضية لا حل لها.

اختيارها كي لا تستفز السائق المسيس قطعاً وكيف ستدور أحداثها بدون أن تمس ما يحصل في سوريا، فتحوّل الراوي موضوعاً بعدما كان صاحب النص، وتعرضه إلى سيل من الأسئلة ما يعرقل لعبة السرد والسرد المضاد. لكن ما المانع أن يحصل خرق ما، فيدخل التجريب على السير المرورية ويقطعها بحوارات شخصية ومشاحنات سياسية حول النظام والثورة والمقاومة واستفادة إسرائيل مما يحصل. ربما يفتح ذلك مزيداً من الهوامش عند الطرفين ويمنح لعبة الاختلاق وظائف جديدة. فالرأي الذي يقوله، السائق أو اللاجئ، يصبح قليل القيمة بعد استئناف السرد المتوهم عن الذات. كأن يقول الأول النظام في سوريا يؤمن لشعبه جميع مستلزمات الحياة من ماء وكهرباء وتعليم وطبابة، ثم يعود إلى سيرته كما يحب أن تكون، فيقول خلال تجارتي عبر تركيا كنت أمرّ بريف حلب وأشاهد الفقر والحرمان. فيما يقول الثاني: النظام أخطأ التعامل مع شعبه خلال أحداث درعا الأولى، ويستأنف سيرته، بذلت عدداً من البيوت الفخمة في بيروت وأعجبنى السكن في الضاحية الجنوبية كثيراً، على عكس ما يشاع. هكذا ينزع السرد المتخيل، هوية الطرفين، يخفي ميولهما، وراء سيل

مهنة السواقة تشبه اللجوء، ليس بوصفها تشرداً عبثياً في طرق المدينة، بحثاً عن الرزق، بل باعتبارها فعلاً مؤقتاً يقوم به صاحبه، اقتناعاً منه بأن ظروفه ستتغير، ويعود إلى طموحاته التي غادرها، مختفياً وراء المقود. الجملة الأولى التي يتفوه بها جميع السائقين، هذه ليست مهنتي، أنا محام أو متعهد أو مهندس فني في إحدى المحطات التلفزيونية. ما كان يريد لنفسه، يتحوّل دراما اختلاقيّة، فيبدأ سرد قصص عن عمله في المحاماة أو مغامراته في التعهدات. إنها محاولة حثيثة للتخلص من عار السواقة. لا يكرر اللاجئ الاستراتيجية ذاتها، رغم كرهه لصفة اللجوء ومحاولته التملص منها. الاختلاق عنده لا يرتبط بالماضي، الذي يملك منه الكثير، وإنما ببلد اللجوء. هو يريد أن يخلق سيناريوهات تبعد عنه عار اللجوء، كأن يقول مثلاً أن أمه لبنانية ويعيش مع عائلته في بيروت قبل بدء الثورة. ما يجعله السائق عن حياة اللاجئ يصبح هامشاً لتضخيم ذاته المشتهة، وضخها بما يلزم لتكون بديلاً سوياً يعوّض بعضاً من نفور المرء حيال نفسه. أما الجهل المقابل، فهو خوف ممزوج بالحدز، أي سيرة مختلقة يجب



الشقاء اللبناني السوري



عن صفحة «الحملة الداعمة للسوريين بوجه العنصرية» على فايسبوك

ديانا مقلد

أكون سلبية حيالها. أكدت مجيئي وفعلاً حضرت وشاركت في الحوار الذي مرّ بهدوء، وإن كنت أشعر أنني لم أكن بالزخم والانطلاق الذي افترضت أن أكون عليهما. فطوال الوقت غلبني الشعور بأن علي دائماً الانتباه لأي تفصيل يصدر عني في هذا الموضوع. كنت أشعر بأنني متيقظة لكل ما يقال كما كنت أيضاً أترصد هفوات أو عبارات ملتبسة من هنا أو هناك حتى ولو لم تُقل صراحة.

هاتفنتي صديقتي «ديمة» وهي كاتبة سورية مقيمة في لبنان لتدعوني الى المشاركة في حوار ضمن برنامج تلفزيوني بدأت العمل عليه في إحدى القنوات السورية المعارضة التي تبث من الخارج. «بكل سرور»، أجبته، «بس شو موضوع الحلقة؟». فردت عليّ «العنصرية تجاه السوريين في لبنان»..أخذتُ نفساً عميقاً وشعرت بالتردد لكن «ديمة» صديقتي ولن

في الوقت نفسه كشف أيضاً أن نظامين سياسيين واجتماعيين مختلفين أنتجا أفراداً مختلفين. الاقتراب من بعضنا بعضاً أغنى خبراتنا من دون شك، لكنه كشف أن عملية التعايش ليست بديهية وتحتاج إلى توظيف وإلى قبول متبادل بالاختلاف.

نعم هناك موقف مسبق لبناني ينمط السوريين.. كان هذا قبل بدء الثورة في سوريا واستمر الى بعد تحولها حرباً.. في المقابل هناك تنميط وعدم رضا سوري عن النموذج اللبناني.. ما يستحق أن نتصدى له كلبانين وسوريين افراداً هو ضرورة أن يقبل السوري لبنان بتاريخه الحديث وبنماذجه وأن يتفهم أزماته.. في المقابل، أن يسعى اللبناني لأن يفصل بين السوري الفرد والسوري اللاجئ وبين نظام استبد في سوريا قبل أن يستبد في لبنان.. لن يكون ذلك تحدياً سهلاً، فالشعور بأن الأفق مسدود يجعل من أي محاولة تقارب ونقاش مسألة فقدت جاذبيتها بعد كل ما حدث.. بالنسبة لي فإن هذا التحدي أمر أعيشه يومياً، أتقبل خيالاته كما أحتفي بانجازاته، المهم أن لا نستكين للشقاء الذي يسعى كثر الى رمينا في أتونه..

عبر «فايسبوك» و«تويتر» سجلات تتغذى من حكايات يومية وتراكم عليها ما جعل طرح أي قضية خلافية لبنانية سورية بمثابة فتيل اشتعال جبهات لبنانية سورية بأكملها..

ليست هذه المداخلة لتكرار مواقف خيضة حول وضع اللاجئ الصعب أو الانقسام اللبناني حيال قتال «حزب الله» في سوريا أو القلق من دخول عناصر متطرفة على خط الداخل والتي كانت معارك عرسال الأخيرة بين الجيش اللبناني ومسلحين من «جبهة النصرة» و«داعش» حلقة خطيرة من حلقاتها، بل أزيد أن أسباب القلق مشروعة وإن كانت معالجتها قاصرة وتنحو نحو تزخيم المشكلة لا احتوائها.

حتماً لن يكون بمقدوري وغيري من الأفراد العالقين في هذه البقعة من العالم التصدي لمشكلة معقدة من نوع الوضع السوري وانعكاساته الكبرى على لبنان، لكن عالمنا في النهاية يتكوّن من مجموعة من الأفراد مثلي ومثل آخرين الذين يشكلون مجتمعات صغيرة تتغذى من علاقات انسانية شخصية ومن تجارب وتفاعلات تراكم وتحدث معنى وقيمة ما. الاقتراب من بعضنا بعضاً كأفراد كشف مساحات من المودّة ومن الاختلاف وقدم لنا نماذج لم نكن نعرفها بحكم المواقف المسبقة، لكنه

مشاركتي في نقاشات أو نشاطات حول الوضع السوري اللبناني هو أمر سبق أن فعلته مراراً في السنوات الأخيرة. لكن ما جعلني أتوقف عند هذه الحكاية هو شعوري بذلك الثقل الكبير المستجد إزاء الخوض في مناقشة الالتباس اللبناني السوري الحاصل والإحساس بأن أي دعوة لحوار أو تواصل من هذا النوع قد تكون مغامرة شائكة خصوصاً مع ارتفاع منسوب التراشق والصدام في أوساط لبنانيين وسوريين حتى ممن يفترض بهم التصدي لاعتقادات تحيط بالعلاقة المعقدة بين الطرفين والتي باتت تنفجر على شكل أزمات كثيرة.

في الحقيقة، مررتُ كما مرّ غيري من لبنانيين وسوريين أعرفهم بمراحل مختلفة من الفهم وسوء الفهم أيضاً. فهذه السنوات التي شهدت توافد أعداد كبيرة من السوريين للإقامة في لبنان إما هرباً أو لجوءاً أو انتقلاً نحو بلد آخر ساهمت في تقارب واكتشاف وصدقات من ناحية وصدامات وسجلات حادة من نواحٍ أخرى. لعل السنوات الأولى من عمر ما بدأ كثورة كانت بمثابة الاكتشاف والتعارف والمصارحة، لكنها مع تصاعد الوضع ومع ضيق أفق الحل باتت مساحات الصدام أوسع.. فإلى جانب السياسة ومواقفها المتفاوتة والمريبة في أحيان كثيرة، بتنا نرى

«لحظة ٢»:

يوميات النزوح بعيون اطفال سوريين



© دار المصور

ليال أبو رحال

لم يتردد المصور اللبناني المحترف رمزي حيدر، في تكرار مشروع «لحظة» الذي يصور الحياة اليومية للاجئين الفلسطينيين، فجاءت «لحظة 2» السورية استكمالاً لها.

عشرات الاطفال من النازحين السوريين، يوثقون بعنسات «كاميراتهم»، تفاصيل من يومياتهم الطويلة في المخيمات ومراكز النزوح.

في ظل تزايد عدد النازحين السوريين الوافدين الى لبنان، مع طول أمد أزمة سوريا، اقدمت جمعية «مهرجان الصورة - ذاكرة»، على خوض تجربة فريدة من نوعها، تستهدف الاطفال السوريين بشكل خاص، باعتبارهم الفئة الأكثر ضعفاً وهشاشة. وقرر فريق عمل الجمعية، وفي مقدمهم المصور رمزي حيدر، توزيع الات تصوير على النازحين الاطفال، وتحفيزهم على توثيق يومياتهم في مكان اقامتهم في لبنان. وسرعان ما تبنت منظمة الامم المتحدة

مصوراً، الى مخيمات ومراكز ايواء النازحين السوريين، لاحظ ان غالبية النازحين هم من الاطفال ايضاً. عندها، قرر اعادة التجربة.

سلم حيدر 500 طفل تتراوح اعمارهم بين 7 و12 سنة، في 70 نقطة تجمع، 500 كاميرا، للهدف ذاته: تصوير يومياتهم البسيطة في اماكن اقامتهم. وفي هذا السياق، يقول ان كل من يتردد الى تجمعات النازحين السوريين، لا بد من ان يلاحظ سريعاً تعطش الاطفال الى كل شيء، بدءاً من اللباس والاحذية والطعام، مروراً بالترفيه، وصولاً الى المعرفة.

ويتابع: «هما اننا مجموعة من المصورين والناشطين والفنانين والصحافيين، نهتم بالصورة والتصوير، قررنا اعادة التجربة الاولى، لكن بعيون سورية هذه المرة، لاكتشاف الفارق بين التجريبتين وكيفية تعامل الاطفال تقنياً مع الكاميرا، واتاحة الفرصة لهم للتواصل مع اناس جدد، من خارج المخيم».

ويربط حيدر الفكرة التي ادت الى ولادة المشروع بنسخته الفلسطينية عام 2007، ولاحقاً السورية عام 2013، بمسيرة عمله الطويلة في بلدان شهدت نزاعات، كما في دارفور والعراق وتركيا والاردن واليمن. ويقول انه من خلال تصويره في مناطق النزاعات، غالباً ما يكون الاطفال هم الأكثر عرضة للأذى: «الاطفال هم ضحايا الحروب، كونهم في مرحلة عمرية صغيرة، حركتهم بطيئة، ومعرفتهم قليلة، ودائماً يجذبون عدسات الكاميرا». ويوضح في السياق ذاته، ان ذكريات الحرب وصورها ترتسم بشكل قاس في مخيلة الاطفال، لأنهم يعيشون فراغاً ولا وظيفة او مهمات يقومون بها.

في لحظته الاولى، وزع حيدر وفريق عمله 500 كاميرا على 500 طفل في 12 مخيماً وتجمعاً فلسطينياً، صوروا تفاصيل يومياتهم، على مدى عامين. ومع بدء توافد النازحين السوريين، وبحكم تردده، بصفته



يجمع المشروع في اهدافه، وفق القيمين عليه، الترفيه الى جانب تعزيز معرفة الاطفال واتاحة فرصة حقيقية لهم للتعبير عن ذاتهم. وقد بدأت المرحلة الاولى منه، كما يشرح حيدر، بالتعرف الى الاطفال النازحين ومدّ جسور تواصل معهم، من خلال جلسة اولى تخللها الطلب اليهم رسم ما يخطر ببالهم لاكتشاف قدراتهم التقنية، ومدى استيعابهم لفكرة الصورة. وكانت لافتة مبادرة غابيتهم الى رسم بيت: «يرسمون بيوتهم التي يفتقدون اليها والمخزنة في مخيلتهم، وللهرب من المكان الذي يوجدون فيه حالياً». ويعتبر حيدر ان «الاطفال قادرين على ايجاد أفكارهم أكثر منا كمصورين، لأننا نصور لهدف او فكرة ما، لكننا عندما نعطيهم الكاميرا نكتشف ما يريدون هم تصويره او تسليط الضوء عليه».

ولا تتطلب الكاميرا التي توزع على الاطفال معرفة تقنية كبيرة، لكن بالتأكيد يسبق عملية توزيعها، توجيههم حول كيفية استخدامها والتعاطي معها. ويلاحظ حيدر ان غالبية العائلات، تجعل الكاميرا في منأى عن الاطفال، وتمنعهم من التعامل معها، عوض تزويدهم بها من بين قائمة الهدايا واطلاق يدهم في تصوير ما يرغبون به واكتشاف مواهبهم. ويقول: «الهدف من توزيع آلات التصوير على الاطفال النازحين، ان يصوروا لنا حياتهم داخل المخيم، فالصورة جزء من ذاكرة المكان».

في الوقت ذاته، يبدي اسفه لعدم تمكن الاطفال من ابراز جوانب حياتهم وتفاصيل يومياتهم من خلال الصورة. ويرد ذلك الى حالة عدم الاستقرار التي يعيشونها، بخلاف ما كانت عليه التجربة مع اللاجئين الفلسطينيين. ويوضح في هذا الاطار: «الاطفال الفلسطينيون ولدوا هنا ويعيشون استقراراً. كما ان حياتهم منظمة، ولديهم منازلهم واصدقاؤهم واهتماماتهم. اما السوريون، فحياتهم غير مستقرة، ويقومون في خيمة في كثير من الاحيان، لا نافذة منها الى الخارج».

ويشير حيدر الى ان «الاطفال النازحين صوروا حياتهم البسيطة داخل المخيم، وهذه الحياة بسيطة جداً، الى درجة ان لا شيء فيها لتصويرها. هناك خيمة يقيمون فيها، تشبه كل الخيم، لذا اتجه غالبيتهم الى تصوير انفسهم وبعضهم البعض والخيم، من دون أن ينفي ذلك اكتشافنا لبعض المواهب اللافتة».

ومن المشكلات التي واجهها فريق العمل في مشروعه، مشكلة انتقال النازحين من مكان الى اخر، الامر الذي يتطلب، في أحيان كثيرة، الانتقال معهم الى مكانهم الجديد والمتابعة معهم تصويرياً ونفسياً واجتماعياً وحتى اقتصادياً، على حد تعبير حيدر، الذي يوضح «اننا نحاول، على قدر امكاناتنا، مساعدتهم، لحاجتهم الى مساعدة دائمة، على كل المستويات».

وهو يعترف بأن العمل مع اطفال غير مستقرين مهمة شاقة: «لديهم مشكلات وازمات تنتقل اليها، ونشعر بعد 9 اشهر من العمل اننا اختنقنا»، مورداً مثالاً عن طفلة تعاني مرض السرطان في وجهها، تطوع وفريقه لتأمين علاجها. ويقول: «ابلغنا الطبيب ان المرحلة الاولى من علاجها، على مدى عام، تتطلب مبلغ 24 الف دولار، وهو مبلغ خيالي بالنسبة اليها، لكننا بفضل معارفنا واصدقائنا تمكنا من جمع نصف المبلغ تدريجياً، وهي بدأت اليوم الأشهر الستة الاولى من علاجها».

ويستهدف مشروع «لحظة 2» المراهقين السوريين الذين تتراوح اعمارهم بين 12 و13 سنة بشكل خاص. وفي هذا الاطار، يعتبر حيدر ان «التعاطي



ذاكرة»، تنظيمه بالتعاون مع منظمة «اليونيسف» التي تبنت مشروع «لحظة 2». ويتخلل المعرض، الى جانب عرض صور مختارة من المشروع، وفيلم وثائقي عن مراحل المشروع من خلال شهادات 4 اطفال وتوزيع الكتاب التوثيقي، عرض مقاطع فيديو هو عبارة عن 25 قصة يخبرها اطفال ويتحدثون فيها عن احلامهم وآمالهم وتمنياتهم.

في هذا المجال، يوضح حيدر ان فكرة تصوير مقاطع الفيديو انطلقت من العلاقة التي باتت تجمعنا بالاطفال من خلال عملنا على مدى الأشهر الماضية معهم، والهدف توثيق هذه الشهادات للذاكرة.

المستويات»، يقول رمزي ثم يضيف: «انهم يعيشون فراغاً قاتلاً في حياتهم، ينتج بالدرجة الاولى من تغيير المكان، بعدما فقدوا قراهم ومحيطهم وعائلاتهم واصدقاؤهم، ليعيشوا في سهل أو في خيمة، من دون وجود اي ضوابط لايقاع حياتهم، كما كان الوضع سابقاً، قبل نزوحهم الى لبنان».

ولا ينتهي مشروع «لحظة 2» عند توزيع آلات التصوير والتقاط الاطفال للصور، بل يمتد الى توثيق هذه الصور من خلال تزويد الاطفال نسخاً عنها من جهة، ونشرها من جهة ثانية، في كتاب مشترك سيوزع مجاناً خلال معرض تنوي جمعية «مهرجان الصورة

مع هذه الفئة العمرية امر صعب، فالاطفال الأصغر سناً يصرقون وقتهم في اللهو، وتكاد تنحصر حاجاتهم بالطعام واللباس والمأكل، اما المراهقون فهم يحتاجون اهتماماً خاصاً».

ويضيف: «هناك خطورة على مستقبل المراهقين اذ يعيشون تحولاً في حياتهم، ويبحثون عن ذاتهم، في حين يجدون أنفسهم في خيمة، بلا مدرسة ولا احلام»، لافتاً الى ان «الخوف جدي على مستقبلهم واحلامهم».

«نحن سوبرمان صغير. اتمنى أن يساهم كل من يمكنه العمل مع الاطفال بنشاطات شبيهة لما نقوم به، لأنهم بحاجة الى مساعدة ملحة على جميع

الجمهورية «التدريبية» السورية... ورش بناء المجتمع المدني في المنفى

خالد الإختيار

مرت مياه كثيرة تحت النهر منذ تأسيس أول جمعية مدنية معروفة في دمشق عام 1880، وسرعان ما عملت السلطة السورية الحالية، بعد توليها الحكم منذ حوالي اربعة عقود، على تفرغ دور المجتمع المدني السوري من محتواه، وإخضاعه لذرعاها الأمنية الطويلة، أو احتوائه في مؤسسات تابعة لها ترتدي اللبوس المدني في ما بات يعرف بـ«gNGO's» (المنظمات الحكومية غير الحكومية)، علاوة على أن 80% من المنظمات والجمعيات المرخصة في البلاد ظلّ نشاطها محصوراً في العمل الخيري (مقارنة بـ 53% في لبنان).

كارثة «تسونامي» في 2005. وهذا ما لا يوافق عليه «كورس» الذي يقول صراحة: «لا نريد أن نعمل وفق أي أجندات أو برامج مسبقة، سواء أتت من الغرب أم من الشرق»، ويؤكد: «حتى في ما يتعلق بالاستفادة من الدروس الأخرى، ومنها التجربة اللبنانية على سبيل المثال، يجب أن ننتبه إلى أن السياق المحلي أولوية قصوى. فتغيّر المعطيات يفرض تغيّر طبيعة الاستجابة. ونحن بحاجة دائماً إلى خبراء من المنطقة، والخبير الوحيد في سوريا، هو الشعب السوري. وعلى السوريين، بالطبع، قراءة التجارب الأخرى، وتشكيل رأيهم الخاص، وما نقوم به هو تمكين أبناء البلد من المهارات اللازمة لأداء المهمة، لا القيام بالمهمة بدلاً عنهم». وبين رأي «أكرم» الذي يصرّ على أن «سهرة» بين أصدقاء جديين في إنجاز عملهم قد تقوم مقام ورشة تدريبية ستكلف آلاف الدولارات في أحد الفنادق اللبنانية؛ يؤكد «جان كورس» وفقاً لخبرته، أن التدريبات المبرمجة تملك أبعاداً تنموية طويلة الأجل، وأن غايات المؤسسات الملتزمة هذا النهج ليس جلب السوريين إلى لبنان، «ولكن في ظل عجزنا عن الحضور في سوريا؛ سيكون تركيزنا على إعداد مدرّبين سوريين قادرين على القيام بالمهام الإنسانية، بأنفسهم، وفي مناطقهم».

سياقي بنبي عليه شكل هذه الاستجابة. إذ أن هدفنا هو تنمية قدرات الأشخاص على القيام بهذا التحليل، وليس فقط تقديم المساعدة المباشرة، فبناء القدرات هدف تنموي وليس إغاثياً محضاً. أما عن قضية غياب التنسيق بين المؤسسات التدريبية، فيقرّ «كورس»، الذي سبق له أن شغل منصب «منسق دولي للإغاثات»، بأنّ التنسيق «شبه معدوم»، قبل أن يضيف أسفاً: «سوء التنسيق هذا ينسحب على قطاعات أخرى في ما يتعلق بالوضع في سوريا. وهذه إحدى المشكلات التي عانينا منها في بلدان أخرى أيضاً. فهناك دورات تتكرر بلا مساءلة، وكلّ يعمل بطريقة بعيدة عن التكامل المطلوب، وما يقتضيه مبدأ ردم الفجوة بين ما هو كائن، وما يجب أن يكون. وإن كان هناك أطراف تستغل هذه الدورات؛ فنحن لا نعترف بها، ومعظم من نعمل معه مدرك لذلك».

مسألة شائكة أخرى، برأي «أكرم»، تتمثل بالقوالب الجاهزة التي يحاول بعض الميسرين استيرادها لتلقينها للمتدربين السوريين. ويضرب المثل بشيوع توزيع سلال غذائية في بعض المناطق السورية تحوي حصصاً مبالغاً فيها من مادة «الرز»، تبين لاحقاً أنها مبنية وفق نموذج تدريبي مقتبس حرفياً عن حملات الإغاثة الدولية إثر

ومع تصاعد الاحتجاجات الشعبية بعد 2011 خرجت إلى الوجود تجمعات مدنية تطوعية سورية حاولت بتفان سد الثغرة المتولدة عن الحصار الحكومي، وانقطاع الخدمات الأساسية، فاشتغلت على مهمات التمريض، وحملات النظافة، والإغاثة، والخدمات الإعلامية. وسريعاً ما أمسى ناشطوها هدفاً مفضلاً للقمع الرسمي، ومن ثمّ لانتهاكات المتطرفين المحسوبين على مناوئي النظام.

وتشير بعض التقديرات المتداولة إلى وجود ما يناهز الـ 2000 منظمة مدنيّة سورية موزعة بين الداخل والمنفى، بنسب فاعلية وخبرة ضئيلتين، مع افتقار إلى هيكلية إدارية واضحة، وتنافس سلبي على الموارد، ناهيك بمعاناة الجميع من انتقال المجتمع المدني السوري الناشئ من عهد التصحر الذي فرضته الحكومة، إلى العسكرة التي أفرزتها الثورة، في قفزة مؤلمة لا تزال مفاعيل صدمتها ماثلة للعيان. الأمر الذي استدعى وجود جهد «تأهيلي» يتمثل أكثر ما يتمثل اليوم بالورش العديدة التي يُعلن عنها على مدار الساعة، والتي تحاول ترميم النقص في الخبرات، وتطوير المهارات الفردية، والبنى المؤسسية الجديدة.

ويعدّ لبنان أحد البلدان التي تستضيف كمّاً لا بأس به من هذه التدريبات، وبخاصة مع أرقام اللاجئين التي ما فتئت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين تحدّثها شهرياً (تجاوزت 832 ألفاً)، أو تلك المستقلّة، والمتضاربة، والتي تصل بالعدد الإجمالي حدّ المليون ونصف المليون لاجئ.

غير أن أسئلة كثيرة يتم تداولها اليوم، تدور حول مدى فاعلية هذه التدريبات، واستراتيجيات الجهات المنظمة. وهذا الأمر بالذات هو مثار انتقادات «أكرم»، وهو واحد من سوريين كثر سبق لهم المشاركة في عدد من هذه الورش التدريبية، والذي يقول: «الفائدة شبه الوحيدة التي جنيتها من الورش التي شاركت فيها كانت هي التشبيك، ولقائي بسوريين آخرين تمكنا سوياً من توطيد علاقة أوصلتنا لاحقاً إلى نشاطات مشتركة بعيدة عن أهداف التدريب الذي جمعنا».

ولا يخفي الشاب الثلاثيني، الذي أنهى تعليمه الجامعي ليجد نفسه معتقلاً بسبب نشاطاته المناهضة للنظام، تبرمه من «غياب أي استراتيجية ناظمة لهذه التدريبات»، و«تحوّل المشاريع المقترحة للعمل مشاريع شخصية»، قبل أن يخرج باستخلاص مفاده أن «لا داعي للمزيد من هذه [ووركشوبات]، إذ لم يبق أحد في سوريا. ومن بقي هناك من ناشطين مدنيين باتوا غير قادرين على الحركة». ويسأل: «أين كانت هذه التدريبات في أول سنتين، عندما كان هناك لا يزال متسع للعمل المدني؟».

يختلف، من جهته، المدرب اللبناني جان كورس، ومدير المركز الدولي للتنمية المؤسسية (ICOD)، مع وجهة نظر «أكرم»، لجهة عدم جدوى هذه التدريبات، وإن كان يوافق على مسألة غياب الاستراتيجيات والتنسيق.

يقول «كورس»: «نعم، الأوضاع دائماً التبدل في سوريا، ولكن استجابتنا، كمؤسسات مجتمع مدني، يجب أن تلتصق بذلك، وأن تكون ديناميكية بدورها. المطلوب منا، عندما نتحدث عن نقل المهارات، أن نقوم بتحليل



في لقاء الشباب السوري واللبناني

ضحى حسن

آثار قدوم الجار الجديد السوري زياد العام الماضي فضول وائل ابن بيروت.. لم يحاول أحدهما التعرف على الآخر، لكن صدفة ما فرضت على الشابين أن يلتقيا التحية على بعضهما البعض.. يقترب وائل من زياد بحذر، وقبل أن يمدّ يده لمصافحته، يسمعان أصوات انفجارات، يركضان باتجاه الصوت.

لقاء الجماعة

يمكن تسمية المرحلة الأولى بـ «لقاء الجماعة»، يختزل فيها زياد خصائص الآتين من سوريا، جماعة يوحدّها شعور بأنها منبوذة ومحتقرة من الجماعة الثانية، جماعة وائل، العاجزة عن فك الارتباط بين النظام السوري الذي حكم لبنان كما سوريا بقبضة حديدية، وبين اللاجئ من عنفه وعنّف الحرب الدائرة هناك في مدنهم وقراهم.

في لقاء الجماعتين ذلك، تتداعى الصور التاريخية والأحكام المسبقة، ينظر وائل الى زياد نظرتة الى ضابط المخابرات في زمن الهيمنة السورية على لبنان، فيعزل زياد وجماعته الهاربين من ضابط المخابرات نفسه، في رغبة بالانفصال التام عن الجماعة اللبنانية، ويبادلهم وائل وجماعته بالمثل.. وتكبر الهوة الى ما لا نهاية.. انها الهوة بين ضحيتين لعراض واحد..

في ظروف كهذه، تبدو مساحة اللقاء الأول أشبه بمشفي نفسي يعالج ضحايا الحروب، فلدى دخول المريض النفسي الجديد، وهو السوري في هذه الحالة، تتحكّم به رغبة في عدم الاختلاط مع الضحايا السابقين وسلوك عدواني انعزالي، يقابلهما المصابون القدامى بالمثل، قبل أن يمرّ عليها الزمان وينشأ فضول عند المصاب القديم للتعرف الى المصاب الجديد والذي ينشأ عند الجديد أيضاً بعد مرور الوقت.

الضرورة والزمن والتجارب

في حقبة «فرط الموت» هذه، بدأت محاولات لإعادة بناء علاقات اجتماعية مستقلة عن التاريخ وترسباته ولا سيما تلك المتعلقة بالحرب والقتل والدمار، وإذا كنا ما زلنا نتحدّث عن ثورات ووعي جديد رغم كلّ العنف الدائر حولنا، فالثورة الحقيقية ليست فقط تلك التي تدهشنا بضخامتها بل أيضاً التي تؤثر في الآراء العامة والتصوّرات، وربما تكون مراجعة العلاقة السورية اللبنانية إحدى هذه الثورات.

في إحدى الجلسات الاجتماعية المشتركة بين السوريين واللبنانيين، تحدث شاب سوري عن موقف تعرض له على حاجز للأمن السوري،



«كنا هنالك» عمل لتمام عزام

ذاكرة المسلسلات مشتركة مع اللبنانيين أيضاً على غرار أمور كثيرة تجمع «الشعب الواحد في دولتين» بحسب تعابير النظام السوري، لكن «في ذلك الوقت، في سنوات الحرب، لم تكن الكهرباء متوافرة في بلدنا ولم تكن نشاهد التلفزيون ولا نعرف مسلسلات الكرتون»، كما علّق صديق لبناني.

لم يمر هذا الجواب عابراً، بل انه نقل من كان في تلك الجلسة من سوريين إلى مشهد متخيّل بعد خمسة عشر عاماً من اليوم. حوار مشابه بين شاب سوري وآخر لبناني، في مكان ما من مدينة ما، يتحدثان عن ذكريات الطفولة ومسلسلات الكرتون، ويعلّق حينها الشاب السوري وقتذاك، الطفل اليوم «في ذلك الوقت، في سنوات الحرب، لم تكن الكهرباء متوافرة في بلدنا ولم تكن نشاهد التلفزيون ولا نعرف مسلسلات الكرتون».

اللبنانيين في حملة مضادة لاقت صدى واسعاً في لبنان وتقديراً في صفوف السوريين في لبنان وفي الداخل السوري أيضاً.. قد يكون طبيعياً أن تمر العلاقات الجديدة هذه بلحظات تتفجّر فيها رواسب التاريخ والماضي والمعرفة الملقنة القديمة، فإلغاء صور نمطيّة ومشاعر مرتبطة بها عمرها ما يقارب الثلاثين عاماً ليس بالأمر اليسير.

طفولة اليوم في سوريا طفولة الأمس في لبنان

قبل أيام وفي جلسة أخرى بين الأصدقاء السوريين واللبنانيين، تحدثت إحدى الشابات السوريات عن مسلسلات الكرتون التي كان يعرضها التلفزيون السوري في أواخر الثمانينات، وهي من مكونات الذاكرة الأساسية لدى جيل الشباب السوري في زمن الحصار الاعلامي والفني الموجه الى النظام البعثي.. ظنّت الشابة أن

فشاركه شاب لبناني تجربة شبيهة مرّ فيها على حاجز للأمن السوري أيضاً في لبنان، وسرعان ما تحوّلت الجلسة سرداً لتجارب تجمعها تفاصيل مشتركة عن فقدان الموت والحرب والتعايش مع القصف والحصار والمعارك..

ورغم كل ما يشعر به كُثُر من السوريين في لبنان، إلا أن نشوء علاقات اجتماعية متينة، ومشاريع ثقافية وفنية واجتماعية مشتركة بين سوريين ولبنانيين، خصوصاً من جيل الشباب، لم يعد أمراً خافياً.. إنها الضرورة وعامل الزمن والتجريب..

الاحتقان

علقت بلديات لافتات في بعض المناطق اللبنانية كتب عليها «ممنوع تجوّل السوريين بعد الساعة السادسة مساءً».. أشار ذلك سخط السوريين وغضبهم، ليس السوريين وحدهم، بل سرعان ما تحركت مجموعة من الناشطين

خداع الليل وختامه السائل

روحيه عوطة

تستند هذه السيرة المقتضبة إلى شهادة الشاب عبدة الإبراهيم، الذي أتى إلى لبنان طالباً العام 2009، قبل أن يغادره، ثم يعود إلى بيروت في العام 2012، مشغلاً في مهنته، كمنقب آثار، بالإضافة إلى كتابته الشعر.

تركوا أحذيتهم في الطريق. ركضوا في كل الجهات. كان الرصاص ينهمر عليهم من كل حذب وصوب. للوهلة الأولى، قررت التراجع معهم، خصوصاً أن مجموعة من العسكر تقف على سطح أحد المباني أمامنا، وتحاول تصيد الناس. وبالفعل، أردت واحداً من المتظاهرين جثة وقعت على الأرض، وراحت الدماء تسيل منها. لم أنسحب، فعندما نظرت إلى جسد القتيل، الذي ارتفعت فوقه غيمة من الغبار والدخان الأسود، نتيجة حرق الاطارات، قلت أن الليل قد حل.

الآن، لا يستطيع النظام مشاهدتنا جميعاً، إذ بدأنا نصير لا مرئيين، بالنسبة إليه. لذا، يطرنا بالرصاص عشوائياً، علّه يصيب أكبر عدد منا. أما، تلك الأخفاف الموزعة على الأرض، فلا يزال أصحابها ينتعلونها، لكن أجسادهم اختفت. نحن خرجنا في الليل، على خلاف ما يُقال، ذلك، أن لولا الظلمة، لكنت السلطة أبصرتنا أكثر، ثم، أعادتنا إلى زمنها المغلق، الذي لا ضوء فيه، ولا عتمة.

إنها «جمعة العشاير». التظاهرة الأولى التي أشارك فيها. فقبلها بأسبوع، تمكن أحد الأصدقاء من تهريب مقطع فيديو على «موبايله»، صُور في منطقتنا بإدلب، وتظهر فيه وقائع جنازة أحدهم، كان النظام قد قتله في احد التحركات. هرب صديقي الفيديو من سوريا إلى لبنان، وصل إلى البقاع، والتقيت به في باحة الجامعة، التي كنت أتابع دراستي فيها. تفرجت على المقطع المصور، ولاحظت أن تلك الساحة، التي كانت تُستعمل لتشيع الموتى، باتت لإستقبالهم، فالتصفيق، والإنشاد، ورفع اللافتات، حول المكان المأتمني إلى مكان ملامح أخرى. فحين كان الناس يودعون القتيل، كانوا يستقبلون أنفسهم. أمام هذه المشهد، شعرت أنني سقطت من علو مرتفع في جسدي، وعندها، قررت أنني سأذهب إلى سوريا، للمشاركة في حراك الشارع.

ما أتذكره من «جمعة العشاير» أنها كانت تمريني الأول على الخداع، كوسيلة لمواجهة النظام، بحيث أنه، في ذلك اليوم، وبينما كانت القوى

الأمنية تحاول صيدنا برصاصها، صنعنا خدعة من أجل تخويفها. إذ رحنا نضرب على أبواب الحديد في الشارع، كي تصدر صوتاً شبيهاً بصوت الرصاص، فأوهمناها بأننا نستعمل أسلحة كي تتردد قليلاً عن قتل الراكضين في الطرق.

لقد كانت خدعة صوتية لخوض الليل، الذي خرجنا فيه، ولحماية سكانه، الذين سرعان ما بدأوا بتدبير أسلحتهم الفعلية، من بنادق صيد، وبواريد حربية خفيفة. وأعتقد، هنا، أن «جمعة العشاير» كانت جمعة انطلاق التسليح، وانتشاره بين الناس. هذا، وقد أدركت، في تلك التظاهرة، أمراً بالغ الأهمية، وهو أن الشارع، كما رسمه حراكنا، يساعدنا على الهرب، وليس على الوصول. فكنت أمشي، وأحياناً أركض، ولا أعرف وجهتي، لكنني، مدرك أنني أمنع الأمن من رؤيتي، وفي سبيلي، أضرب على الحديد، ممثلاً لإطلاق الرصاص على القاتل. في كل الأحوال، عرفت في ذلك اليوم، أن معنى «كل شيء» تغير، أو أن معانيه القديمة

قد سقطت على الأقل. الدليل على ذلك: كنت خائفاً، غير أنني لم أتوقف عن الضحك.

عدت إلى لبنان. لكن، هذه المرة، للعمل في بيروت، التي لطالما كانت توحى لي بصورة بشعة: جسر ضخم، وتحتة، جثة مرمية. لم تفارقني هذه الصورة حتى بعد أن قطنت في المدينة. وبعد فترة، رحلت أفكر في مصدرها، فهل هو الحكايات التي سمعتها عن أوضاع السوريين في لبنان، وقد رسختها معاملة اللبنانيين لي، عندما عشت طالباً في البقاع؟ لا أعرف فعلاً، إلا أنني، في عودتي إلى هذه البلاد، كنت أرغب في التعرف الى الآخرين، أن أخبرهم عن ليلنا، وعن ثورتنا التي حدثت لإسقاط النظام، الذين عانوا، تماماً مثلنا، من احتلاله. لكنني، اصطدمت بالكثير من الحواجز، أهمها، تصورهم عني، بطياته العنصرية والطبقية، التي ضاعفتها صفة اللاجئ.

أردت، بعد أن خلقت ذاتاً جديدة لي، لا علاقة لها بالنظام، أو بأبده،



© دار المصور

بها على النظام، كما هي الحال في سوريا، بل على أنفسنا، لنقول أننا أحياء. بيروت تمارس لا وعيها مسيلاً في الليل، وتكبتة صباحاً، فيتبدد التعارف المسائي، وبالتالي، يرجع الآخر إلى تصوره عني. أما، أنا، فأتمسك بجروحي.

على أي حال، حتى هذه التجربة المبددة، لا يستطيع الكثير من النازحين إلى لبنان أن يمارسوها، ذلك، أن المناطق، التي يسكنوا فيها، تمنعهم من التجول عند حلول المساء. إذ يريدون القِيمون على قرار المنع هذا، أن يكونوا عمالاً، وعمالاً فقط، يعني، أن يمضوا نهارهم في ورش الإنتاج، ومن ثم، يُحتجزوا في منازلهم طيلة فترة المساء. وبالمناسبة، أحد أصدقائي، يعمل في توزيع أكياس مكعبات الثلج على مطاعم وحانات شارعي الجميزة ومار مخايل. يضع الثلج على أبواب الليل، ثم، يُسرع إلى منطقتهم، التي ارتفعت فيها لافتة، تفرض عليه العودة إلى بيته قبل الساعة السابعة مساءً... قبل أن يذوب النهار في الكؤوس.

عن معاناتي في بلدي الثاني، أو مدينتي بيروت. وفي الحالتين، كانت ردات الفعل تجاه حديثي صامتة.

فالأخر، الذي التقى به خلال النهار، وينظر إليّ بنفور متفاوت، أكان قاطعاً أو متقطعاً، يقف أمامي بلا معوقات. غير أنه، في معظم الأوقات، لا يتصل بي قولاً. كأننا، نحن، الذين مُنعنا من التعرف إلى بعضنا البعض لعقود من الزمن، بدا لنا، حين وقع احتكاكنا الكحولي، أن لا نزاع بيننا، وفي الوقت نفسه، لم نشترك في أي موضوع من قبل. في الليل، كان اختلافنا ساكناً، ولا حراك فيه، فهو أقرب إلى هدنة بين الفوارق.

من الناحية نفسها، أو بالقرب منها، غالباً ما كنت أشعر أن ليل بيروت هو نهاية التظاهرة في سوريا، حيث نكون قد بنينا لا مرئيتنا لخداع القوى الأمنية، التي لا يحضر تحت عينها من آثارنا سوى أحذية بلا أجساد وصوت رصاص بدون إطلاق نار. ربما، في مدينتي الثانية، الكحول، بالإضافة إلى الكلام المرافق له، هو خدعتنا، التي نتحايل

أن أتصل بالآخر، الذي منعني «البعث» عن التفاعل معه، وقد كان من البديهي أن يكون الإحتكاك الأول مع هذا الغير قاسياً، ومؤلماً، لدرجة أنني صرت، في أوقات معينة، شبه متأكد من كرهه لي، ومن كرهه له. أنا الآتي على متن الموت إلى هنا، كان هذياناً شديداً، كما كانت الحواجز، التي يضعها الآخر أمامي، مرتفعة للغاية. هل كانت جثتي الملقاة تحت الجسر، أم جثته هو؟ في ليل بيروت، اكتشفت أنها جثة كل واحد منا.

هذه المدينة تسيل في ليلها، يتدفق اجتماعها في شوارع السهر وعلى أرصفتها، حيث يختلط الحابل بالنابل، وتكون الصلات بينهما كحولية بامتياز. فالكحول تُسبّل ضغط النهار السابق، ليعيد انتاجه في اللاحق. وعلى اثره، يجتمع الساهرون، الذين صرت واحداً منهم بطريقة متدرجة. ففي البداية، كنت حين أشرب، أصاب بما يشبه الحنين، وأبدأ بالكلام مع الآخرين عن بلدي الأول، ثم، في ما بعد، بت أشرب وأتحدث

نزم بحثاً عن حلم وكابوسه ما زال هناك

عمل لتمام عزام

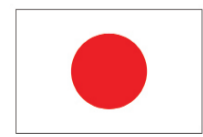


يعتبر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي شبكة التنمية العالمية التابعة للأمم المتحدة وهو يدعو إلى التغيير وإلى تحقيق نفاذ البلدان إلى المعرفة والخبرة والموارد من أجل مساعدة الشعوب على التمتع بحياة أفضل.

لمزيد من المعلومات
مشروع بناء السلام في لبنان التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي،
مبنى البنك العربي الإفريقي الدولي
شارع رياض الصلح - النجمة، بيروت - لبنان،
هاتف: 980583 / 01 - 119160 - 70
www.lb.undp.org

Find us on:
facebook UNDP Lebanon

يعمل «مشروع بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي منذ العام 2007 على تعزيز التفاهم المتبادل والتماسك الاجتماعي بطريقة تشاركية مع الشباب والمدرسين ووسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية، بالإضافة لانكاسات أثر الأزمة السورية على المجتمعات اللبنانية المضيفة ومن أجل تخفيف حدة التوترات المتزايدة حديثاً في البلاد، يعمل المشروع على تعزيز قدرات مختلف فئات المجتمع من قيادات محلية ومدرسين وإعلاميين ومجتمع مدني، على إدارة هذه الأزمة وبناء السلام والتعامل اللاعنفي مع النزاعات ومساندتهم من أجل تطوير إستراتيجيات بناء سلام متوسطة وطويلة الأمد.



من الشعب الياباني
From the People of Japan



شعوب متمكنة.
أمم صامدة.